
بلادُ السّلام
الأساطير
دار
شهرزاد

الأساطير

بلاد السلام

الطبعة الثالثة
نيسان (ابريل) ١٩٨٢

دار شهرزاد

الإِخوَةُ الثَّلاثَةُ

في قَديمِ الزَّمانِ كانَ النَّاسُ شُعوباً مُتَفَرِّقَةً ، تَفْصِلُ بَيْنَهُمُ المَسافاتُ الشَّاسِعَةُ ، أَوِ الجِبالُ الشَّاهِقَةُ ، أَوِ البِحارُ العَميقَةُ . وَكانَ ثَلاثَةُ إِخوَةٍ يَعيشونَ مَعاً في قَصْرٍ مَبْنِيٍّ عِنْدَ سَفْحِ سِلْسِلَةٍ مِنَ الجِبالِ العالِيَةِ جِدّاً بِحَيْثُ تَتَوارى قِمَمُها في الغُيومِ . ما ارْتَقى إِلَيْها أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ ، وَما اجْتازَها إِنْسانٌ لِصُعوبَةِ مَسالِكِها وَوُعورَتِها . فَكانَتْ سَدّاً مَنيعاً بَيْنَ سُكّانِ القَصْرِ وَجِوارِهِ وَالبُلْدانِ الواقِعَةِ في الجَنوبِ . فَلا يَعْرِفونَ شَيْئاً عَنْ أَهْلِها ، وَطَبيعَةِ أَرْضِها .

أوراءَ ٱلسِّلْسِلَةِ سُهولٌ أَمْ صَحْراءُ أَمْ جِبالٌ أُخْرى ؟

أَيُقيمُ فيها أُناسٌ مُتَمَدِّنونَ أَمْ شُعوبٌ مُتَوَحِّشَةٌ ؟

لَمْ يَذْكُرِ ٱلْقُدَماءُ عَنْها أَمْراً لِأَنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَقْدِرْ عَلى ٱجْتِيازِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ لِيُخْبِرَ بِما شاهَدَهُ هُناكَ .

كانَ ٱلْأَخَوانِ ٱلْأَكْبَرُ وَٱلْأَوْسَطُ يَعيشانِ راضِيَيْنِ في بَلَدِهِما وَقَصْرِهِما ، مَعَ أَنَّ ٱلشَّمْسَ لا تُشْرِقُ هُناكَ إِلّا ساعاتٍ مَعْدودَةً ، وَيُخَيِّمُ ٱلضَّبابُ في مُعْظَمِ فُصولِ ٱلسَّنَةِ ، وَيَشْتَدُّ ٱلْبَرْدُ ، وَتَكْثُرُ ٱلْأَمْطارُ ، وَتَتَساقَطُ ٱلثُّلوجُ فَتُغَطّي ٱلْأَرْضَ ثَمانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنَ ٱلسَّنَةِ . وَكانا بِٱلْإِضافَةِ إِلى ذٰلِكَ كَبيرَيِ ٱلْقامَةِ ، ماهِرَيْنِ في ٱلْفُروسِيَّةِ وَٱلْمُصارَعَةِ ، يُحِبّانِ ٱلصَّيْدَ وَٱلْحَرْبَ وَٱلْمَآكِلَ وَٱلْمَشارِبَ .

أَمّا ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ فَلَمْ يَكُنْ في قُوَّةِ أَخَوَيْهِ وَبَأْسِهِما ، بَلْ كانَ نَحيفاً ، رَهيفَ ٱلْحِسِّ ، جاهِلاً في شُؤونِ ٱلسِّلاحِ

وَٱسْتِعْمَالِهِ ، يَمْقُتُ ٱلْحَرْبَ ، وَلَا يَتَحَمَّلُ رُكُوبَ ٱلْخَيْلِ ، وَلَا يُشَارِكُ فِي نُزُهَاتِ ٱلصَّيْدِ إِلَّا مُكْرَهـاً ، لِأَنَّ نَفْسَهُ تَتَقَزَّزُ مِنْ قَتْلِ ٱلْحَيَوَانَاتِ بِلا سَبَبٍ ، وَيُفَضِّلُ أَحْيَاناً عَلَى ٱللُّحُومِ تَنَاوُلَ ٱلْفَوَاكِهِ وَٱلْخُضَرِ . وَلِذٰلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْـهِ أَخَوَاهُ وَجِيرَانُهُ ٱسْمَ مُسَالِمٍ ، تَدْلِيلاً عَلَى خُلُقِهِ وَتَصَرُّفِهِ .

هَدَايَا ٱلنَّاسِكِ

عَاشَ ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ فِي ٱلْقَصْرِ مَنْسِيًّا ، لَا يُعْنَى أَحَدٌ بِشَأْنِهِ ، فِي حِينِ أَنَّ أَخَوَيْهِ يَسْتَرْعِيَانِ ٱنْتِبَاهَ ٱلنَّاسِ بِأَعْمَالِهِمَا وَبَسَالَتِهِمَا ، لِذٰلِكَ فَكَّرَ فِي ٱلْقِيَامِ بِمُغَامَرَةٍ يَتَحَدَّثُ بِهَا ٱلنَّاسُ ، وَلَا يَكُونُ لَهَا مَثِيلٌ فِي ٱلتَّارِيخِ . فَقَدْ أَزْمَعَ عَلَى ٱجْتِيَـازِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبَالِ لِيَكْتَشِفَ ٱلْبُلْدَانَ ٱلْوَاقِعَةَ وَرَاءَهَا ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

ـ إذا تحققت رغبتي ، ونجحت حيث أخفق كلُّ من تقدَّمني من المغامرين الأبطال أصبح موضوع إعجاب في بلدي ، وينتشر اسمي على كلّ لسان . وإذا أخفقت ، ومت في طريقي جوعاً أو تعباً أو برداً ، أو افترسني حيوانٌ ، أو سقطت في هاوية لا قرار لها ، لا أحد يحزن عليَّ ما خلا مربيتي المسكينة ، فإنها وحدها تحتفظ لي في قلبها بعاطفة رقيقة .

لم يخبر مسالم أحداً بما نوى عليه إلّا مربيته ، فأخذت تنوح وتبكي لتثنيه عن عزمه ، وعن تعريض نفسه لهلاك أكيد . وتذكر له أخبار كلّ الذين حاولوا ، من قبل ، تسلّق سلسلة الجبال والقيام بالمغامرة الرهيبة ، وانقطعت أخبارهم ، مؤكدة له أنه مقدم على عملية انتحار لا شكّ فيها .



لَمَّا رَأَتْ إِصرارَهُ وَعِنادَهُ ، قادَتْهُ إِلى ناسِكٍ تَعْرِفُهُ ، وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَمْرَ . وَكانَ ٱلرَّجُلُ مُتَزَهِّداً مُنْقَطِعاً عَنِ ٱلعالَمِ في إِحْدى ٱلْمَغاوِرِ ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلى عُلومٍ سِحْرِيَّةٍ غَرِيبَةٍ ، فَأَعْطى ٱلْفَتى ثَلاثَةَ أَشْياءَ ، هِيَ : سِكِّينٌ عَجيبٌ في تَأْثيرِهِ ، وَحَجَرٌ بَرَّاقٌ مَوْضوعٌ في عُلْبَةٍ ، فَإِذا أُخْرِجَ مِنْها شَعَّ فَحَوَّلَ ٱلظَّلامَ نوراً ساطِعاً ، وَقِرْبَةٌ مَليئَةٌ بِشَرابٍ يَشْفي ٱلْجُروحَ ، وَيُعيدُ ٱلْقُوَّةَ إِلى مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ . فَشَكَرَ مُسالِمٌ لِلنّاسِكِ هَداياهُ ، وَوَدَّعَ مُرَبِّيَتَهُ ، وَخَرَجَ مِنَ ٱلْقَصْرِ مُصْطَحِباً شَيْئاً مِنَ ٱلْمَؤُونَةِ في طَريقِهِ .

بَقايا ٱلْمُغامِرين

صَعِدَ في ٱلْجَبَلِ ، وَكانَتِ ٱلطَّريقُ تَمْتَدُّ أَمامَهُ كُلَّما

تَقَدَّم . وَفي اَلْيَوْمِ اَلثّالِثِ تَوَقَّفَ قَليلاً عَنِ اَلسَّيْرِ وَنَظَرَ وَراءَهُ فَأَبْصَرَ اَلْقَصْرَ ظاهِراً لِلْعِيانِ وَلٰكِنَّهُ بَدا صَغيراً لِبُعْدِهِ . ثُمَّ تابَعَ اَلْمَسيرَ ، مُفَتِّشاً عَنْ مَجازٍ يَمُرُّ فيهِ لِيَصِلَ إِلى اَلْجانِبِ اَلْآخَرِ فَلَمْ يُوَفَّقْ في مُحاوَلَتِهِ . وَبَدا لَهُ تَسَلُّقُ اَلْقِمَّةِ مُعْجِزاً لِأَنَّهُ اَصْطَدَمَ بِحاجِزٍ صَخْرِيٍّ مالِسٍ يَسْتَحيلُ اَجْتِيازُهُ كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ مَنيعَةٌ .

أَخَذَ اَلْبَرْدُ يَشْتَدُّ ساعَةً بَعْدَ ساعَةٍ ، وَأَوْشَكَ زادُهُ عَلى اَلنَّفادِ . وَأَحَسَّ بِتَعَبٍ شَديدٍ يُقَيِّدُ خُطُواتِهِ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ ثابَرَ عَلى اَلتَّقَدُّمِ نَحْوَ غايَتِه . وَكانَ اَلْحاجِزُ اَلصَّخْرِيُّ يَصُدُّهُ في كُلِّ مُحاوَلَةٍ ، فَلا يَعْثُرُ فيهِ عَلى مَنْفَذٍ إِلى اَلْجانِبِ اَلْآخَرِ . وَلِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَحَسَّ مُسالِمٍ بِاَلْعَجْزِ ، وَكادَ اَلْيَأْسُ يَتَسَرَّبُ إِلى قَلْبِهِ ، وَقَدْ نَفِدَ طَعامُهُ ، وَبَدَأَ اَللَّيْلُ يَزْحَفُ بِظُلْمَتِهِ اَلْكَثيفَةِ . وَفيما هُوَ يَتَلَمَّسُ طَريقَهُ



قُرْبَ ٱلصَّخرِ عَثَرَ على بَقايا مُخَيَّمٍ ، وَبَضائِعَ مُمَزَّقَةٍ وَمَنْثورَةٍ ، وَعِظامِ جُثَثٍ ، هِيَ بِلا شَكٍّ مِنْ آثارِ ٱلَّذين جاءُوا مِنْ قَبْلُ وَٱصْطَدَموا بِهٰذا ٱلْحاجِزِ وَأَدْرَكَهُمْ عِنْدَهُ ٱلْجوعُ وَٱلتَّعَبُ وَٱلْبَرْدُ فَماتوا وَما بَلَغوا غايَتَهُمْ ، فَقالَ في نَفْسِهِ :

ـــ قَدْ يَكونُ مَصيري كَمَصيرِ هٰؤُلاءِ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ طَمَحوا إِلى كَشْفِ حَقيقَةِ ما وَراءِ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ فَكانَتِ ٱلنَّتيجَةُ تَحَوُّلَهُمْ إِلى عِظامٍ مُحَطَّمَةٍ مُشَتَّتَة .

جِدار ٱلْمَغارَة

بَيْنا هُوَ في تَفْكيرِهِ أَبْصَرَ بِنَسْرَيْنِ كَبيرَيْنِ يَقْتَتِلانِ فَوْقَ رَأْسِهِ ٱقْتِتالاً عَنيفاً ضارِياً ، وَإِذا بِأَحَدِهِما يَسْقُطُ أَمامَهُ جَريحاً ، وَبِٱلْآخَرِ يُتابِعُ هُجومَهُ لِيُجْهِزَ عَلَيْهِ ،

فَقَفَزَ مُسالِمٌ نَحْوَهُ وَفي يَدِهِ سِكِّينُهُ ، فَتَوارى ٱلنَّسْرُ ٱلْمُنْتَصِرُ هارِباً قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُ ٱلْفَتى . وَدَنا مِنَ ٱلنَّسْرِ ٱلْجَريحِ ، فَخافَ مِنْهُ أَوَّلَ ٱلْأَمْرِ ، ثُمَّ ٱطْمَأَنَّ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَرَفَّقَ مُسالِمٌ في مُعامَلَتِهِ ، فَسَكَبَ عَلى جِراحِهِ قَطَراتٍ مِنَ ٱلسّائِلِ ٱلسِّحْرِيِّ فَبَرِئَتْ لِساعَتِها ، وَٱسْتَعادَ ٱلطّائِرُ نَشاطَهُ وَصَفَّقَ بِجَناحَيْهِ وَحَلَّقَ في ٱلْفَضاءِ .

اشْتَدَّ ٱلظَّلامُ ، وَقَرَسَ ٱلْبَرْدُ ، فَلَجَأَ ٱلْفَتى إِلى حُفْرَةٍ صَخْرِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، لا يَتَيَسَّرُ ٱلدُّخولُ إِلَيْها إِلّا بِعَناءٍ شَديدٍ . وَلَمّا ٱسْتَقَرَّ فيها أَخْرَجَ ٱلْحَجَرَ ٱلسِّحْرِيَّ مِنْ عُلْبَتِهِ فَأَخَذَ يَتَأَلَّقُ كَقِطْعَةٍ مِنَ ٱلشَّمْسِ . وَعَلى ٱلنّورِ ٱلسّاطِعِ لاحَظَ ٱلْفَتى مَجْموعَةً مِنَ ٱلْحَشَراتِ أَقْلَقَها مَجيئُهُ فَأَخَذَتْ تَهْرُبُ مِنَ ٱلْحُفْرَةِ . وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ بَعْضاً مِنْها يَتَوَجَّهُ نَحْوَ ٱلدّاخِلِ ، فَأَرْسَلَ ٱلضَّوْءَ إِلى ٱلْمَنْفَذِ ٱلَّذي تَهْرُبُ مِنْهُ فَرَأى

أمامَهُ مغارَةً عميقَةً جِدًّا . فزَحفَ على بَطْنِهِ إلى أنْ بلَغَها ، فَمَشى فيها وَهُوَ يفتِّشُ عَنْ مَخْرَجٍ لهـا . غَيْرَ أنَّ جِداراً صَخرِيّاً كانَ يَسُدُّها سَدًّا مُحْكَماً مِنْ كُلِّ ٱلْجوانِبِ . ولَمَّا تَفَحَّصَ ٱلْجِدارَ عَنْ قُرْبٍ تَبَيَّنَ لَهُ أنَّ حِجارَتَـهُ لَيْسَتْ طَبيعِيَّةً في رَصْفِها ، بَلْ هِيَ مُؤَلَّفَةٌ مِنْ قِطَـعٍ كَبيرَةٍ ، مُرَتَّبٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْض . فَهِيَ إذاً مِنْ صُنْعِ ٱلْإِنْسان .

أَخْرَجَ سِكِّينَهُ وَأَخَذَ يَحْفِـرُ في ٱلْحِجارَةِ فَٱتَّضَحَ لَهُ أنَّ لِلسِّكّينِ فِعْلاً سِحْرِيّاً ، فَما يَكادُ يَمَسُّ ٱلْحَجَـرَ حَتّى يَتَقَطَّعَ وَيَتَفَتَّتَ كَأَنَّهُ مِنَ ٱلْكِلْسِ ٱلجافّ ، وَيَتَهاوى أمامَ قَدَمَيْهِ إذا ما شَدَّهُ بِيَدِهِ .

نِهايَةُ ٱلنَّفَقِ

هَدَمَ مُسالِمٌ ٱلْجِدارَ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ في بِدايَةِ رُواقٍ

طويلٍ ، لا يُرى آخِرُهُ ، وأَحسَّ بنفحةِ هواءٍ تَهُبُّ على وَجْهِهِ ، فامتلأَ قلبُهُ أملاً ، وسارَ قُدُماً فيهِ ، لا يرتاحُ مِنْ عنائهِ إلّا قليلاً .

سارَ في بدايةِ ٱلْأَمرِ حذِراً متباطِئاً ، لا يُصادِفُ في طريقِهِ أيَّةَ عقبةٍ . ثُمَّ أسرعَ في مَشْيِهِ ساعاتٍ ، وأيّاماً ، لا يَعرِفُ عدَدَها . فلا ٱلشَّمسُ تطْلُعُ عليْهِ ولا ٱللَّيلُ يُدرِكُهُ ، لِأَنَّ ٱلحجرَ ٱلسِّحريَّ يُحوِّلُ ٱلظُّلْمَةَ إلى صُبحٍ دائِمِ ٱلْإِشراقِ . بدا لَهُ أنَّ ٱلنَّفقَ لا ينتهي ، وأنَّهُ يغوصُ في قلبِ ٱلْجَبَلِ إلى ما لا نِهايَةَ له . وكانَ يَتوقَّفُ مِنْ وقتٍ إلى آخرَ ، ويَشْرَبُ قطراتٍ مِنَ ٱلسّائِلِ ٱلْعَجيبِ فيُجَدِّدُ قُواهُ ، حتّى وصَلَ إلى مُنْحنى في ٱلنَّفقِ ما تجاوزَهُ حتّى رأى أمامَهُ بُحيْرَةً شفّافَةَ ٱلمِياهِ ، تتدلّى مِنْ سقفِها مُقرْنصاتٌ كاللُّؤلؤِ في بياضِها ، وتلتفُّ حولَ ٱلْبُحيرةِ

طَريقٌ تُؤَدّي إلى ٱلضَّفَّةِ ٱلثّانِيَةِ . وَبَدا لَهُ أَنَّ هٰذِهِ ٱلطَّريقَ مِنْ صُنْعِ ٱلإِنْسانِ مُنْذُ قَديمِ ٱلزَّمانِ . وَكانَ سالِمٌ يَعْجَبُ لِهٰذِهِ ٱلْبُحَيْرَةِ ٱلْكَبيرَةِ في وَسَطِ ٱلنَّفَقِ ، وَيُحِسُّ بِتَعَبٍ شَديدٍ وَبِجوعٍ أَشَدَّ ، وَرُكْبَتاهُ تَرْتَجِفانِ ، وَثِيابُهُ ٱلْمُبَلَّلَةُ مِنَ ٱلرُّطوبَةِ تَلْتَصِقُ بِجِسْمِهِ وَتَجَمَّدُ عُروقُهُ مِنْ أَعْلى رَأْسِهِ إلى أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ . وَما جَرُؤَ عَلى ٱبْتِلاعِ ما تَبَقّى مِنَ ٱلشَّرابِ ٱلسِّحْرِيِّ ، بَعْدَ أَنْ قارَبَ ٱلنَّفادَ وَضَعُفَ بَريقُ ٱلْحَجَرِ لِكَثْرَةِ ٱسْتِعْمالِهِ . وَمِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ أَرْضَ ٱلنَّفَقِ كانَتْ مُنْحَدِرَةً ، فَتابَعَ سَيْرَهُ إلى أَنْ وَصَلَ إلى بابٍ كَبيرٍ هُوَ نِهايَةُ ٱلطَّريقِ .

تَفَحَّصَ مَعالِمَ ٱلْبابِ فَوَجَدَهُ قَديماً جِدّاً ، مُتَهَرِّئَ ٱلْخَشَبِ ، قَدْ تَأَكَّلَهُ ٱلسّوسُ ، فَما صادَفَ عَناءً في تَحْطيمِ قُفْلِهِ . فَلَمّا ٱنْفَتَحَ أَمامَهُ وَقَعَ بَصَرُهُ عَلى أَعْشابٍ خَضْراءَ

مُلْتَفَّةٍ فَأَبْعَدَها مِنْ طَريقِهِ ، وَتَقَدَّمَ قَليلاً فَإِذا هُــوَ في إِحْدى ٱلْغابات .

كانَ ٱلْجَوُّ رائِقاً وَحارًّا ، وَٱلزُّهورُ تَمْلَأُ ٱلْحُقُــولَ ، وَٱلطُّيورُ تُغَرِّدُ بِأَشْجى أَلْحانِها ، وَٱلْغِزْلانُ تَرْعى آمِنَـــةً ، فَلا تَنْفُرُ مِنْ رُؤْيَتِه . وَكانَ ٱلتَّعَبُ وَٱلْجوعُ قَدِ ٱشْتَدّا عَلَيْهِ ، وَبَهَرَ نَظَرَهُ نورُ ٱلشَّمْسِ فَٱنْهارَ عَلى ٱلْأَرْضِ ، تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ ، مَغْشِيًّا عَلَيْه .

شَعْب جَديد

لَمَّا ٱسْتَيْقَظَ ظَنَّ أَنَّهُ قَدِ ٱنْقَضى عَلى رُقادِهِ لَيـــالٍ كَثيرَةٌ ، فَقامَ وَمَشى عائِداً إِلى ٱلْبابِ ٱلْكَبيرِ ، فَلَمْ يَجِدْ لَهُ أَثَراً لِأَنَّ ٱلْأَعْشابَ أَخْفَتْهُ ، فَرَجَعَ إِلى ٱلْغابَةِ وَٱجْتازَها حَتّى ٱنْتَهى مِنْها إِلى بَــلَدٍ لَمْ يَرَ في حَياتِهِ مَثيلاً لَهُ في جَمالِهِ .



أبصرَ حقولاً ملأى بالسَّنابلِ ، وبساتينَ مُثقلةً بالثِّمارِ ، ومُروجاً خضراءَ ، وجداولَ تجري فترْوي الأرضَ حولَها.

وسارَ إلى جانبِ حقلٍ فرأى النَّاسَ منصرفينَ إلى أعمالِهِمْ باجتهادٍ . فما وقعَ نظرُهُمْ عليهِ حتَّى عرفوا أنَّهُ رجلٌ غريبٌ . فهوَ أكبرُ منهُمْ جسماً وعيناهُ زرقاوانِ ، وشعرُهُ أشقرُ . فذهبوا بهِ إلى مجلسِ شيوخِهِمُ الذينَ يحكمونَ البلدَ . وكانوا يتكلَّمونَ لغةً لا يفهمُ منها مسالمٌ كلمةً واحدةً ، ولكنَّهُمْ أدركوا أنَّهُ جائعٌ ، فقدَّموا لهُ طعاماً مؤلَّفاً منَ الخبزِ والخضرِ والبيضِ والجبْنِ . وبعدَ أنْ شبِعَ أخذَ يتفحَّصُ ما حولَهُ منْ مشاهدَ ، ومنْ عاداتٍ في تصرُّفِ السُّكّانِ . فأدهشَهُ لأوَّلِ وهلةٍ ما تبيَّنَهُ منْ عذوبةِ الجوِّ . فما عرفَ في بلادِهِ هواءً دافئاً مثلَ هوائِهِمْ ، وما رأى مثلَ هذا البلدِ في الخصبِ . ولاحظَ

أنّ السّكانَ مسالِمون طيّبونَ . يرتدي المشتغِلونَ في الحقولِ ثياباً خضراءَ والعمّالُ في المحارِفِ والمصانِعِ أرديةً زرقاءَ، والنّساءُ يلبسْنَ فساتينَ طويلةً بيضاءَ . ويُشرِفُ على الأمنِ والعدلِ في البلدِ مجلِسٌ منَ المسنّينَ . وكلُّ المواطنينَ يعيشونَ حياةً هانئةً سعيدةً .

سِرُّ النّفقِ

أصدرَ الشّيوخُ أمرهم بأنْ يُعامَلَ الغريبُ معامَلةً حسنةً . فأعطوهُ منزلاً في وسطِ حقلٍ ، وألحقوا بهِ خادماً يُساعِدُهُ في شُؤونِ بيتِهِ . فإذا حانَ وقتُ الطّعامِ رأى مائدتَهُ مليئةً بالخُضَرِ والألبانِ والمربّياتِ ، وليسَ بينَها شيءٌ منَ اللّحمِ لأنّ هذا الشّعبَ يأبى قتلَ الحيوانِ لأكلِ لحمِهِ، لذلكَ كثُرتْ عندهُمُ الحيواناتُ على مختلِفِ أنواعِها . وكانَ

مُسالِم يَقولُ في نَفْسِهِ :

ــ إنَّ حُلمي قَدْ تَحَقَّقَ في هذا البَلَدِ ، فَهُوَ مَوطِـــنُ الأَمانِ وَالسَّلام . فَلِمَ أَعودُ إلى بَلَـــدي حَيْثُ يَتَصَرَّفُ النّاسُ بِقَسْوَةٍ وَفَظاظَة ؟ هُنا يَعيشُ السُّكّانُ مُتَحابّينَ ، لا يَصيدون وَلا يَتَقاتَلون .

قَرَّ رَأْيُهُ عَلى البَقاءِ في دارِ الغُرْبَةِ . وَأَخَذَ يَتَعَلَّمُ لُغَةَ أَهْلِ البِلادِ بادِلاً في ذلِكَ كُلَّ جُهْدِهِ وَذَكائِهِ لِيَتَفاهَمَ مَعَهُمْ ، وَلِيَعْرِفَ مِنْهُمْ سِرَّ الرِّواقِ الَّذي يَصِلُ عالَمَهُ وَراءَ الجِبالِ بِهذِهِ المِنْطَقَـةِ ، وَلِيَرُدَّ بِدَوْرِهِ عَلى أَسْئِلَةِ الشُّيوخِ الَّذينَ يَشوقُهُمُ الاِطِّلاعُ عَلى أَخْبارِ بِلادِهِ . وَلَمّا تَحَقَّقَتْ أُمْنِيَّتُهُ وَأَصْبَحَ قادِراً عَلى التَّفاهُمِ مَعَ مُضيفيهِ ذَهَبَ إلى زَعيمِهِمْ وَرَوى لَهُ حِكايَتَهُ مِنْ أَوَّلِها إلى آخِرِها ، وَالرَّجُلُ مُصْغٍ إلَيْهِ بِاهْتِمامٍ كُلّيٍّ . وَبَعْدَ أَنْ أَنْهى كَلامَهُ قالَ الزَّعيم :

— إِنَّ ٱلنَّفَقَ ٱلَّذي مَرَرْتَ بِهِ لِتَصِلَ إِلَيْنا قَدْ حَفَرَهُ مُنْذُ مِئاتِ ٱلسِّنينَ جُدودُنا ٱلَّذينَ كانوا يَعيشونَ قَديماً في ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ ، أَيْ حَيْثُ نَشَأْتَ أَنْتَ ، وَحَيْثُ يَعيشُ ٱلْآنَ أَخْواكَ . وَقَدْ أَقاموا هُناكَ في أَمانٍ وَٱطْمِئْنانٍ ، كَما تَرانا نَفْعَلُ هُنا ، إِلى أَنْ أَقْبَلَتْ قَبائِلُ غَريبَةٌ مُحارِبَةٌ ، قُساةُ ٱلْقُلوبِ ، هِيَ قَبائِلُكُمْ ، فَٱجْتاحَت ٱلبِلاد . فَقَرَّرَ جُدودُنا ٱلِٱنْسِحابَ إِلى هٰذِهِ ٱلْمِنْطَقَةِ لِلْحِفْظِ عَلى حَياتِهِمْ ، فَحَفَروا ٱلنَّفَقَ وَٱحْتَفَظوا بِٱلسِّرّ . وَٱلْآنَ بَعْدَ أَنِ ٱهْتَدَيْتَ إِلَيْهِ ، عَلَيْكَ بِٱلْبَقاءِ مَعَنا لِئَلّا يَذيعَ سِرُّنا وَيَنْكَشِفَ أَمْرُنا ، وَتُعْرَفَ ٱلطَّريقُ ٱلْمُؤَدِّيَةُ إِلَيْنا فَنَهْلَكَ . وَنَحْنُ نُعامِلُكَ كَواحِدٍ مِنّا ، نُزَوِّجُكَ مِنْ إِحْدى بَناتِنا وَتَنْسى ٱلْماضي وَتُؤَسِّسُ بَيْنَنا أُسْرَةً ، وَتُرْزَقُ بِأَوْلاد .

حَيْرَةُ مُسالِم

لَمْ يُجِبْ مُسالِم عَلى كَلامِ ٱلزَّعِيمِ ، بَلْ ٱكْفَهَرَّتْ مَلامِحُ وَجْهِهِ ، وَبَدَتْ عَلَيْهِ ٱلْحَيْرَةُ ، فَٱنْصَرَفَ صامِتاً ، وَعادَ إلى بَيْتِهِ وَٱسْتَقَرَّ فيهِ لا يُغادِرُه . وَأَخَذَ يُفَكِّرُ في أَمْرِهِ ، كَيْفَ أَنَّــهُ ، مِنَ ٱلْآنَ فَصاعِداً لا يُمْكِنُهُ مُغادَرَةُ هٰذا ٱلْبَلَدِ وَإِنْ أَصابَهُ ٱلْمَلَلُ فيهِ . وَهٰكَذا تَحَوَّلَ ٱلْفَتى مِنْ مُعْجَبٍ بِٱلْأَرْضِ وَسُكّانِها إلى ناقِدٍ مُتَذَمِّرٍ يَقولُ لِمَنْ يُصادِفُهُ مِنَ ٱلْفَلّاحين :

— كَيْفَ تَدَعونَ ٱلْحَيَواناتِ سارِحَةً في حُقولِكُمْ فَتُفْسِدُ عَلَيْكُمُ ٱلْغِلال ؟ أَلا تُريدونَ إِهْلاكَ ٱلْأَرانِبِ وَٱلثَّعالِب ؟ إِنَّ أَمْرَكُمْ لَغَريبٌ حَقًّا ..

وَكانَ ٱلْفَلّاحونَ يَشْمَئِزّونَ مِنْ كَلامِهِ وَيُجيبون :

— نَعْرِفُ أَنَّكَ آتٍ مِنَ ٱلْجانِبِ ٱلْآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ

ٱلْجِبالِ ، وَأَنَّكَ كُنْتَ تَأْكُلُ ٱلْحَيَوانَاتِ بَعْدَ قَتْلِها . وَلٰكِنَّنا لا نَسْمَحُ بِمِثْلِ هٰذا ٱلْعَمَـــلِ في أَرْضِنا ، وَسَنُحافِظُ عَلى كُلِّ مَخْلوقٍ حَيٍّ عِنْدَنا وَإِنْ صَدَرَتْ مِنْهُ أَذِيَّة .

ٱلدّيكُ ٱلْمَشْوِيّ

جَرَّبَ مُسالِمٍ مَرّاتِ ٱلْعُثورَ عَلى بابِ ٱلنَّفَقِ بِلا جَدْوى . وَهُوَ وَإِنْ وَجَدَهُ لا يَجْرُؤُ عَلى ٱجْتِيازِهِ لِأَنَّ ٱلْحَجَرَ ٱلسِّحْرِيَّ قَدْ فَقَدَ تَأَلُّقَهُ ، وَفَرَغَتْ قُرْبَةُ ٱلسّائِلِ ٱلْعَجيب . فَلَيْسَ في وُسْعِهِ إِذاً ٱلْقِيامُ بِرِحْلَةِ ٱلْعَوْدَة .

مَرَّتْ أَيّامٌ وَأَسابيعُ ، وَحانَ عيدُ رَأْسِ ٱلسَّنَةِ ، فَثارَتْ في نَفْسِهِ ذِكْرَياتٌ حُلْوَةٌ عَنْ بَلَدِهِ ، وَٱسْتَعـــادَ في مُخَيِّلَتِهِ حَفَلاتِ ٱلْغِناءِ وَٱلموسيقى ، وَٱلدُّيوكَ ٱلرّومِيَّةَ ٱلْمَشْوِيَّةَ وَٱلْمَحْشُوَّةَ بِٱللَّوْزِ وَٱلْفُسْتُقِ وَٱلْأَرُزِّ ، وَسالَ رِيقُهُ تَشَوُّقاً إِلى ٱللَّحْمِ

ٱلْمَطْهُوَّ أَوِ ٱلْمَشْوِيَّ . وَفَكَّرَ بِأَنْ يَسْتَعِيضَ عَنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِدَجَاجَةٍ . فَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلى ٱلْغَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ . وَكَانَتِ ٱلْحَيَوَانَاتُ تَسِيرُ قُرْبَهُ ، وَٱلطُّيُورُ تُحِيطُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِأَنَّهَا لا تَخَافُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ . وَٱقْتَرَبَ مِنْهُ دِيكٌ رُومِيٌّ بَرِّيٌّ فَقَبَضَ عَلَيْهِ وَذَبَحَهُ وَنَتَفَهُ وَجَوَّفَهُ وَأَنْفَذَ فِيهِ سَيْفَهُ ، وَأَشْعَلَ ٱلنَّارَ ، وَأَخَذَ يَشْوِيهِ وَهُوَ يَنْظُرُ حَوْلَهُ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُفَاجِئَهُ أَحَدٌ .

ما كادَ يَبْدَأُ بِتَنَاوُلِ طَعامِهِ ٱلشَّهِيِّ حَتَّى سَمِعَ وَرَاءَهُ صَوْتاً ، فَٱلْتَفَتَ مَذْعُوراً فَوَجَدَ ٱلنَّسْرَ ٱلَّذِي شَفاهُ مِنْ جِراحِهِ قَرِيباً مِنْهُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُ :

ــ أَمْسَكْتُ بِكَ مُتَلَبِّساً بِٱلْجَرِيمَةِ . أَتَأْكُلُ دِيكاً رُومِيّاً بَرِّيّاً ؟ بِمَا أَنَّكَ أَحْسَنْتَ إِلَيَّ لَنْ أَذْكُرَ عَنِ ٱلْأَمْرِ شَيْئاً

شرطَ أنْ تدَعني أشارِكَكَ في طَعامِك هذا ، فأنا في غايةِ الْجوع .

رِحلَة في الفَضاء

فيما هُما يأكُلانِ أخذَ مُسالِم يَتذَمَّرُ مِنَ الْحَياة الَّتي يَعيشُها في هذهِ الْبِلادِ ، ويُصوِّرُها على غَيْرِ حَقيقَتِها ، ويَتمَنّى الْعَوْدَةَ إلى مَوْطِنِهِ حَيْثُ يَعيشُ أخَواهُ وأصْدِقاؤُهُ ، فقالَ لَهُ النَّسْرُ :

ـــ إذا كُنْتَ مُزمِعاً عَلى الرُّجوعِ أنقُلُكَ إلى هُناكَ ، ولٰكِنَّكَ قَدْ تَموتُ بَرْداً عِنْدَما أعلو بِكَ لِاجْتازَ الْقِمَمَ الْعالِيَة .

فكَّرَ مُسالِم في الأمْرِ ، وفي أفضَلِ الطُّرُقِ لِاجْتِيازِ السِّلْسِلَةِ الشّاهِقَةِ ، واتَّفَقَ مَعَ النَّسْرِ عَلى أنْ يَلْتَقِيا في يَوْمٍ

آخرَ لِلقيامِ بِالرّحلة . ثُمَّ رَجعَ إلى ٱلمدينةِ وَطلبَ مِنْ سَلّالٍ أَنْ يَصنعَ لَهُ سَلّاً كَبيراً مُبطّناً بِالقُطْنِ ، فَإذا سأَلَهُ أحدُهُمْ عَنِ ٱلغايةِ مِنْهُ قال :

ــ أوَدُّ أنْ أرْبِطَهُ بَيْنَ شَجرَتيْنِ عالِيَتَيْنِ وَأَتّخِذَ مِنْهُ أُرْجوحَةً أنامُ فيها في ٱللّيالي ٱلحارَّةِ ، عَلى عادةِ أَهْلِ بِلادي في ٱلصّيفِ .

وَلَمّا تَمَّ ٱتّخاذُ ٱلعُدَّةِ ، ٱرْتَدى ثِيابَهُ ٱلصّوفِيَّةَ ، وَحَمَلَ سَلَّهُ ٱلمَليءَ بِٱلأغطِيَةِ وَتَوجَّهَ إلى ٱلغابَةِ في ٱلمَوْعِدِ ٱلمُعَيَّنِ . وَهُناكَ تَمَدّدَ في ٱلسَّلِّ ، فَحَمَلَهُ ٱلنّسْرُ وَطارَ بِهِ . فَأخذَ ٱلسَّلُّ في بِدايَةِ ٱلأمْرِ يَتأرْجحُ يَميناً وَيَساراً ، فَٱنزَعجَ مُسالِمٍ وَأصابَهُ دُوارٌ شَديد . ثُمَّ هَدأَتْ حَرَكَةُ ٱلسَّلِّ ، فَسَلَّمَ أمْرَهُ إلى اللهِ ، وَدَبَّ ٱلنُّعاسُ في أجْفانِهِ فَنام .

عَوْدَةٌ مُسالِمٍ

اسْتَيقَظَ ٱلفَتى على ٱرْتِطامِهِ بِٱلأَرْضِ لِأَنَّ ٱلنَّسْرَ ، بَعْدَ أَنْ تَعِبَ مِنَ ٱلطَّيرانِ ٱلطَّويلِ وَحِمْلِهِ ٱلثَّقيلِ ، نَزَلَ في ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ مِنْ سِلْسِلَةِ ٱلجِبالِ ، عِنْدَ ٱلجِدارِ ٱلصَّخْرِيِّ . وَكانَ ٱلفَجْرُ قَـــدْ بَدَأَ بِٱلطُّلوعِ ، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ فَتَبَيَّنَ ٱلمَكانَ ٱلَّذي نَزَلَ فيهِ فَقالَ لِلنَّسْرِ :

ــ لِمَ تَوَقَّفْتَ هُنا ؟

أَجابَهُ :

ــ هٰذا أَقْصى مَكانٍ أَصِلُ إِلَيْهِ ، فَلَسْتُ أَجْرُؤُ عَلى ٱلذَّهابِ إِلى أَبْعَدَ مِنْهُ ، لِأَنَّ ٱلنَّاسَ في بِــلادِكَ ، إِذا رَأَوْني ، أَطْلَقوا عَلَيَّ سِهامَهُمْ ، وَطارَدوني . فَهُمْ مِنْ قَتَلَةِ ٱلحَيَواناتِ وَٱلطُّيورِ .

قالَ هٰذا وَٱنْطَلَقَ مُحَلِّقاً عائِداً مِنْ حَيْثُ جاءَ .

كانَ على مُسالِم أَنْ يَسيرَ عِدَّةَ أَيّامٍ لِيَصِلَ إلى ٱلْقَصْرِ. وكانَتْ قُواهُ قَدْ ضَعُفَتْ، وَجـاعَ وَعَطِشَ وَتَمَزَّقَتْ ثِيابُهُ، وَمَعَ ذٰلِكَ ظَلَّ يَتَقَدَّمُ حَتّى وَصَلَ ذاتَ مَساءٍ إلى ٱلْقَصْرِ فرَأى ٱلْبابَ ٱلْكَبيرَ قَدْ أُقْفِلَ، فَدَقَّ عَلَيْهِ فَأَقْبَلَ أَحَدُ ٱلْحُرّاسِ وَفَتَحَهُ وَقالَ لَهُ :

ــ مَنْ أَنْتَ أَيُّها ٱلرَّجُل ؟

ــ أَنا مُسالِم ..

ــ لَسْتَ صادِقاً في قَوْلِكَ، لِأَنَّ مُسالِماً قَدْ تُوُفِّيَ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَوات .

تَحَيَّرَ في أَمْرِهِ وَقالَ في نَفْسِه :

ــ إذا لَمْ يَعْرِفْني هٰذا ٱلرَّجُلُ فَإِنَّ أَخَوَيَّ أَيْضاً قَدْ لا يَتَعَرَّفانِ إِلَيَّ وَأُطْرَدُ مِنَ ٱلْقَصْرِ كَأَنَّني دَخيلٌ مُحْتال .

قالَ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :

ــ أنا مُسالِمٌ يا رَجلُ وأُريدُ ٱلدُّخولَ على أَخَوَيَّ .

وَلَمّا رَآهُ مُتَرَدِّداً حاوَلَ تَذَكُّرَ ٱسْمِهِ وَقالَ لَهُ :

ــ أَنتَ بَرْتان ، وَمِنْ عادَتِكَ ٱلِاضْطِرابُ في كُلِّ مُناسَبَة .
إذْهَبْ وَقُلْ لِأَخَوَيَّ إِنِّي قَدْ عُدْتُ مِنْ رِحْلَتي ٱلطَّويلَة .

اجتِماعُ ٱلشَّمْل

أَدْخَلَ ٱلْحارِسُ مُسالِماً إلى ٱلْقَصْرِ ، وَبَيْنَما يَجْتازُ إِحْدى ٱلْقاعاتِ أَبْصَرَ نَفْسَهُ في ٱلْمِرْآةِ ، فَأَذْهَلَهُ ما رَآهُ مِنْ تَبَدُّلٍ في مَلامِحِ وَجْهِهِ . فَقَدِ ٱسْمَرَّ لَوْنُهُ ، وَنَحُلَ جِسْمُه . تابَعَ طَريقَهُ إلى أَنْ وَصَلَ إلى ٱلْقاعَةِ ٱلْكُبْرى حَيْثُ كانَ أَخَواهُ قاعِدَيْنِ مَعَ سَيِّدَتَيْنِ قُرْبَ ٱلْمِدْفَأَة . فَتَقَدَّمَ نَحْوَهُما ، وَلٰكِنَّهُما ظَلّا في مَكانِهِما لا يَتَحَرَّكانِ وَلا يَتَفَوَّهانِ بِكَلِمَةٍ ، وَقَدْ ظَهَرَ في نَظَراتِهِما ٱلِاسْتِهانَةُ بِٱلدَّخيلِ ٱلَّذي يُقْلِقُ عَلَيْهِما

راحتَيهما . فما تمالكَ نفسَهُ مِنَ ٱلصِّياح :

ــ أنا أخوكما مُسالِم .. أتغيّرتُ إلى هٰذهِ ٱلدّرجةِ بحيثُ أصبحتُ غريباً عنكُما ؟ إنّي لَسعيدٌ بِٱلرُّجوعِ إلَيكُما .

ما سَمِعَ ٱلأخوانِ صَوتَهُ وتَبيّنا حركاتِهِ حتّى أدركا أنّ ٱلرَّجُلَ ٱلواقِفَ أمامَهُما هُوَ حقًّا أخوهُما ، فعانَقاهُ ، ورَحَّبا بِهِ . وكانَ ٱلأخوانِ ٱلكَبيرانِ قَدْ تزوّجا بِٱلسّيّدتَينِ ٱللّتَيْنِ في رِفقَتِهما فأحسنَتا بدَورِهِما لِقاءَهُ ، ورَحَّبتا بِهِ .

الاحتِفالُ بِعَودَةِ ٱلغائِب

أمرَ ٱلأخوانِ ، في ٱلغَدِ ، بمدِّ ٱلخِوانِ وإقامَةِ مأدُبَةِ ٱحتِفاء بِعَودَةِ ٱلغائِب . ودارَ ٱلحَديثُ حَولَ ٱلمُغامَراتِ ٱلّتي عاشَها مُسالِم مُنذُ خُروجِهِ مِنَ ٱلقَصرِ إلى عَودَتِهِ إلَيهِ . فروى لَهُمُ ٱلأحداثَ ٱلّتي صادَفَها ، وٱلعَقَباتِ ٱلّتي ٱعترَضَتهُ ،

وَما شاهَدَهُ في ٱلْبِلادِ ٱلْواقِعَةِ ما وَراءَ سِلْسِلَةِ ٱلْجِبالِ . وَذَكَرَ ما عَرَفَهُ عَنْ أَخْلاقِ أَهْلِها وَعاداتِهِمْ ، وَطُرُقِ مُعامَلَتِهِمْ ، وَأَكْلِهِمْ وَشَرابِهِمْ ، وَكُلِّ ما ٱسْتَرْعى ٱنْتِباهَهُ هُناكَ . وَأَخْرَجَ مِنْ جُيوبِهِ بَعْضَ ٱلْأَدَواتِ ٱلْبَديعَةِ ٱلدَّقيقَةِ ٱلَّتي يَتَمَيَّزُ بِها مَهَرَةُ ٱلصُّنّاعِ ، فَأُعْجِبَ بِها ٱلْجَميعُ ، وَتَأَكَّدوا مِنْ أَنَّ سُكّانَ تِلْكَ ٱلْمِنْطَقَةِ مُتَحَضِّرونَ ، حاذِقونَ ، مُتَقَدِّمونَ في كَثيرٍ مِنْ عُلومِهِمْ وَشُؤونِهِمْ . وَلَمَسوا قُماشَ ٱلْأَثْوابِ ٱلَّتي يَرْتَديها مُسالِمٌ فَوَجَدوها ناعِمَةً ، جَميلَةَ ٱلرُّسومِ وَٱلنُّقوشِ .

رَدَّدَ ٱلْفَتى رِواياتِهِ مَرّاتٍ كَثيرَةً ذاكِراً ٱلثَّرَواتِ ٱلَّتي يَنْعُمُ بِها أَهْلُ ٱلْبِلادِ . وَكانَ ٱلْجَميعُ يُحيطونَ بِهِ ، وَيُعْنَوْنَ بِشُؤونِهِ ، وَيَسْتَمِعونَ إِلى كَلِماتِهِ كَأَنَّهُ يَنْطِقُ بِٱلدُّرَرِ ٱلْغالِيَةِ . فَٱلْكُلُّ مُعْجَبٌ بِهِ وَبِشَجاعَتِهِ ، وَبِغَزارَةِ

مَعْرِفَتِهِ ، وبِخِبْرَتِهِ في ٱلْحَياةِ . فَهُوَ ٱلآنَ رَجُلٌ آخَرُ ، يَخْتَلِفُ كُلَّ ٱلاخْتِلافِ عَنْ مُسالِمٍ ٱلَّذي هَجَرَ ٱلقَصْرَ مُنْذُ ثَلاثِ سَنَواتٍ .

فِكْرَةُ ٱلْغَزْوِ

غَمَرَ ٱلْفَرَحُ قَلْبَهُ في ٱلْأَيَّامِ ٱلْأُولى لِعَوْدَتِهِ . فَقَدْ نَعِمَ بِقُرْبِ أَخَوَيْهِ وَزَوْجَتَيْهِما ، وَأَصْدِقائِهِ وَبَنِيهِ . غَيْرَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلسَّعادَةَ لَمْ تَطُلْ . فَقَدْ عادَتْ إِلَيْهِ أَفْكارُهُ ٱلسَّابِقَةُ ، وَتَسَرَّبَ ٱلْمَلَلُ إلى قَلْبِهِ وَأَثارَ غَضَبَهُ ما يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُهُ كُلَّ نَوْعٍ مِنْ مَظاهِرِ ٱلْقَسْوَةِ وَٱلشَّراسَةِ في تَصَرُّفِ مُواطِنيهِ . فَهُمْ دائِماً في خِصامٍ وَقِتالٍ وَصَيْدٍ وَشَرابٍ وَمَآدِبَ . وَكانَ يَعودُ إلى نَفْسِهِ فَيَقولُ :

— أَيْنَ هٰؤُلاءِ مِنَ ٱلنّاسِ ٱلَّذينَ عَرَفْتُهُمْ هُناكَ ؟ إِنَّ

قَلْبي مُمَزَّقٌ بَيْنَ أَهْلِ وَطَني وَسُكّانِ تِلْكَ ٱلْبِلادِ . فَلَسْتُ أُطيقُ فِراقَ أَرْضي ، وَلَسْتُ أَتَحَمَّلُ عاداتِ أَهْلِها .

جاءَهُ أَخوهُ ٱلْأَوْسَطُ يَوْماً وَقالَ لَهُ :

ـ إِنَّ حَديثَكَ عَنْ بِلادِ ما وَراءَ ٱلْجِبالِ وَطيبِ مُناخِها ، وَخِصْبِ أَرْضِها وَمُسالَمَةِ سُكّانِها لَعَجيبٌ . وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ أَخانا ٱلْأَكْبَرَ هُوَ ٱلْوَريثُ ٱلْوَحيدُ لِكُلِّ ما خَلَّفَ وَالِدُنا لِأَنَّهُ ٱلِابْنُ ٱلْبِكْرُ . وَأَنا وَأَنْتَ مُعْدَمانِ ، قَدْ يُخْرِجُنا مِنَ ٱلْقَصْرِ فَلا نَجِدُ ما نَعيشُ بِهِ . وَلا أَمَلَ لَنا في هٰذِهِ ٱلْبِلادِ ، لِذٰلِكَ فَكَّرْتُ بِغَزْوِ بِلادِ جيرانِنا فَأَتَوَلّى فيها ٱلْمُلْكَ وَأَتَّخِذُ مِنْكَ وَزيراً لي ، إِذا رَضيتَ بِأَنْ تَكونَ ٱلدَّليلَ في ٱلْحَمْلَةِ .

رَفْضُ مُسالِمٍ

ذُهِلَ مُسالِمٌ مِنْ كَلامِ أَخيهِ ، وَأَدْرَكَ ٱلْخَطَرَ ٱلَّذي



يتعرَّضُ لهُ معَ رجالِهِ إذا نفّذَ عزمَه . وتأكّدَ عِندئذٍ مِنْ حِكمةِ الشيوخِ الّذينَ يتولَّوْنَ المسؤوليّةَ هُناكَ ويُحافِظونَ على سِرّيّةِ النّفقِ المؤدّي إليهِم . وندِمَ على ما أفشاهُ مِنْ خفايا الأسرارِ ، ووَدَّ مِنْ صميمِ قلبِهِ لوْ أنّهُ قادِرٌ على ردِّ كُلِّ كلِمَةٍ فاهَ بِها . وقالَ في نفسِهِ :

ـ أيُّ شرٍّ سبّبْتُهُ لِهؤلاءِ النّاسِ الصّالحينَ الطّيّبينَ الّذينَ أنزلوني بينَهُمْ كأنّني واحِدٌ مِنهُم ؟ وأيُّ بلاءٍ ينتظِرُهُمْ مِنْ جرّاءِ ثرثرتي ؟ لقدْ عاشوا آمِنينَ ، مُسالِمينَ فجئْتُ أنا وكشفْتُ عنْ نُقطةِ الضّعفِ فيهِمْ ، وعرّضْتُهُمْ لِلهلاكِ ، وبذلِكَ أكونُ قدْ قابلْتُ الخيرَ بِالشّرِّ .

تأفّفَ الأخُ الأوسطُ مِنْ صمتِ أخيهِ وتأخُّرِهِ في الجوابِ ، فقالَ :

ـ لِمَ لا تتكلَّم ؟ لِمَ لا تَشكُرُني على ما أَبْدَيْتُهُ نَحْوَكَ مِنْ كَرَم ؟ أنا أُفكِّرُ بِمستقبلي وَمُستَقْبَلِكَ معاً . مُساعَدَتُكَ ضَرورِيّةٌ يا أخي .. تَقودُنا في ٱلْجَبَلِ وَتُساعِدُنا في ٱلعُثورِ على ٱلْمَمَرِّ وَنستَفيدُ مِنْ سِكّينِكَ ٱلسِّحْرِيِّ .

قالَ مُسالِم :

ـ لَنْ أكونَ لَكَ عَوناً في تَدميرِ تِلْكَ ٱلبِلادِ ٱلْآمِنَةِ ، وَإشاعَةِ ٱلْخَرابِ في مُدُنِها وَقُراها وَحُقولِها ، لِأَنَّ سُكّانَها كانوا لي أَصْدِقاءَ مُخْلِصينَ وَمُحِبّينَ .

ـ بِئْسَ ما تَقول .. في وُسْعِنا ٱلِاستِغْناءُ عَنْ خَدَماتِكَ ، وَلَنْ تَنالَ مِنْ فُتوحاتِنا شِبْراً مِنَ ٱلْأَرْضِ . مِنَ ٱلْآنَ فَصاعِداً لَنْ أَعتَبِرَكَ أخاً لي ، بَلْ أَنظُرُ إِلَيْكَ نِظْرَتي إلى عَدُوٍّ .

قالَ هذا وَخرجَ غيْرَ مُودِّعٍ ، وَصفقَ ٱلبابَ خلفَهُ بِعُنفٍ ، وَظلَّ مُسالِم وَحْدَهُ خافِقَ ٱلقَلْبِ ، يائِساً ، ناقِماً عَلى نَفْسِهِ وَطولِ لِسانِه . وَخافَ أنْ يَعثُروا عَلى سِكّينِهِ فَأَخذَهُ وَذَهبَ إلى ٱلنَّهْرِ وَأَلْقاهُ فيه .

إِخْفاق ٱلغَزْوَة

صَدرَ ٱلأَمْرُ بِتَنْفيذِ ٱلحَمْلَةِ بَعْدَ مُوافَقَةِ ٱلأَخِ ٱلأَكْبَرِ وَزَوْجَتِهِ عَلَيْها . وَرَأى مُسالِم مِنْ نافِذَتِهِ مِئاتٍ مِنَ ٱلرِّجالِ ٱلمُسَلَّحينَ يَمُرّونَ أَمامَهُ ، يُغَنّونَ أَناشيدَ ٱلحَرْبِ ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ يُمَنّي ٱلنَّفْسَ بِالْحُصولِ عَلى ٱلغَنائِمِ ، وَٱلعَوْدَةِ بِثَرْوَةٍ . وَكانوا يَتَبارَوْنَ في ٱصْطِحابِ أَفْتَكِ ٱلأَسْلِحَةِ ، وَيَتَحَدَّثونَ عَنِ ٱلقَتْلِ وَٱلاِغْتيالِ وَٱلتَّدْميرِ كَأَنَّهُمْ يَتَحَدَّثونَ عَنْ نُزْهَةٍ في ٱلحُقولِ . وَأَخَذَ مُسالِم يَقولُ في نَفْسِه :

ـ أَلَسْتُ أَنا ٱلْمَسْؤولَ عَنْ كُلِّ ما يَحْدُثُ . وَما سَيَحْدُثُ ؟ لَقَدْ أَصْبَحْتُ خائِناً فِي نَظَرِ شَعْبِي ، وَأَنا في نَظَرِ ٱلْآخَرِينَ عَدُوٌّ لَدود .

أَمضى أَيّاماً يُصَلّي مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ لِيَحْفَظَ ٱللهُ سُكّانَ ٱلْبِلادِ ٱلْآمِنَةِ ، وَيَرْعى أَبْناءَ وَطَنِهِ ، فَيَحولَ دونَ هَلاكِهِمْ. وَبَعْدَ مُرورِ ثَلاثَةِ أَسابيعَ سَمِعَ مُسالِم جَلَبَـةَ ٱلْجَيْشِ ٱلْعائِدِ ، وَعَرَفَ أَنَّ أَخاهُ قَدْ رَجَعَ عَنْ عَزْمِهِ بَعْـدَ إِخْفاقِهِ فِي ٱلْعُثورِ عَلى مَدْخَلِ ٱلنَّفَقِ ، وَعَجَزَ مَعَ جُنودِهِ عَنْ تَسَلُّقِ ٱلْجِـدارِ ٱلصَّخْرِيِّ . فَٱرْتَدَّ مَعَ رِجالِهِ إِلى ٱلْوراءِ ساخِطاً عَلى أَخيهِ ٱلْمُتَقاعِسِ عَنْ مُساعَدَتِهِ . وَمَعَ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْغِبْطَةَ قَدْ غَمَرَتْ نَفْسَ مُسالِم ، فَخَرَجَ مِـنَ ٱلْقَصْرِ ، مَعَ عَدَدٍ مِنْ رِجالِهِ ، وَساروا فِي ٱلْبَرِّيَّةِ ، إِلى أَنْ وَصَلوا إِلى أَحَـدِ ٱلتِّلالِ فَبَنَوا فَوْقَهُ قَصْراً

صَغيراً وَحرَثوا ٱلْأَرْضَ في ٱلسُّهولِ ٱلْقَريبَةِ وَزَرَعوها وأَنبَتوا ٱلْحُبوبَ وَٱلْأَشْجارَ ، وَرَبَّوا ٱلماشِيَةَ ، وَعاشوا في سَلامٍ ، يَأْكُلونَ مِنْ كَدِّ يَدِهِمْ وَعَرَقِ جَبينِهِمْ .

جبل الشَّمس

اقْتِسامُ ٱلْإِرْث

في قَديمِ ٱلزَّمانِ كانَ أَخوانِ يَعيشانِ مَعاً في بَيْتٍ واحِدٍ مَعَ والِدِهِما . كانَ ٱلْأَكْبَرُ بَخيلاً ، طَمّاعاً ، يُريدُ ٱلتَّفَرُّدَ وَحْدَهُ بِميراثِ أَبيهِما ، فَلا يُشارِكُ فيهِ أَخاهُ ٱلْأَصْغَر . وَلَمّا تُوُفِّيَ أَبوهُما عَمَدَ إِلى ٱلْحيلَةِ لِيَسْتَأْثِرَ بِٱلْمالِ وَٱلْأَرْضِ ، فَقالَ لِأَخيه :

ـــ حانَ ٱلْوَقْتُ لِنَقْتَسِمَ تَرِكَةَ والِدِنا . فَلْنَنْهَضْ صَباحَ غَدٍ باكِراً ، وَلْنَذْهَبْ لِنَحْرُثَ ٱلْحَقْلَ وَنَقْلُبَ أَرْضَه . فَمَنْ حَرَثَ أَكْثَرَ مِنَ ٱلْآخَرِ يَأْخُذُ كُلَّ ٱلْميراثِ وَحْدَهُ ، شَرْطَ أَنْ نَقومَ بِعَمَلِنا وَنَحْنُ صائِمانِ لِنَتَأَكَّدَ مِنْ أَيِّنا

أقوى عَلى تَحَمُّلِ ٱلْمَشاقّ .

أَصْغى ٱلْأَخُ ٱلْأَصْغَرُ إلى ٱقْتِراحِ أَخيهِ ، وَوافَقَهُ ، كَعادَتِهِ في كُلِّ مَرَّةٍ ، عَلى ما طَلَب . وَفي صَباحِ ٱلْيَوْمِ ٱلتّالي ٱسْتَيْقَظَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ قَبْلَ ٱلْأَصْغَرِ ، وَتَناوَلَ فَطوراً دَسِماً أَعَدَّتْهُ لَهُ زَوْجَتُهُ ، ثُمَّ نَبَّهَ أَخاهُ مِنَ ٱلنَّوْمِ ، مُخْفِياً عَنْهُ أَنَّهُ أَكَلَ سِرّاً ، وَقالَ لَهُ :

ــ ها قَدِ ٱسْتَيْقَظْنا مَعاً ، فَلْنَذْهَبْ حالاً إلى ٱلْعَمَلِ .

ذَهَبا إلى ٱلْحَقْلِ ، وَأَخَذَ كُلٌّ مِنْهُما يَحْرُثُ ٱلْأَرْض . وَعَمِلَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ بِهِمَّةٍ وَنَشاطٍ ، في حينِ أَنَّ ٱلْأَصْغَرَ ٱشْتَغَلَ بِبُطْءٍ وَتَعَبٍ لِأَنَّهُ خاوي ٱلْمَعِدَةِ ، ما تَناوَلَ شَيْئاً مِنَ ٱلطَّعامِ مُنْذُ مَساءِ أَمْس . وَهٰكَذا لَمْ يَتَوَصَّلْ إلى مُجاراةِ أَخيهِ ، بَلْ قَصَّرَ عَنْهُ ، وَفَقَدَ كُلَّ ٱلْميراثِ ، وَٱسْتَأْثَرَ أَخوهُ ٱلْأَكْبَرُ بِٱلتَّرِكَةِ كامِلَة .

حَديثُ ٱلهُدْهُد

لَمْ يَبْقَ لِلأَصْغَرِ بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَلا حَقْــلٌ يَفْلَحُهُ وَيَزْرَعُهُ ، وَلا شَجَرَةٌ يَأْكُلُ مِنْ ثِمارِها ، فَغـادَرَ بَيْتَ والِدِهِ ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ ٱلْجِبالِ حَيْثُ عاشَ في إِحْدى ٱلْمَغاوِرِ، مُرْتَزِقاً مِنْ قَطْعِ ٱلحَطَبِ وَبَيْعِهِ في ٱلْقُرى ٱلْمُجاوِرَة .

بَيْنا كانَ يَوْماً مُتَوَجِّهاً إِلى ٱلْغابَةِ لِلاَحْتِطــابِ أَبْصَرَ بِعُشِّ هُدْهُدٍ في أَغْصانِ شَجَرَة . فَحاوَلَ إِسْقاطَ ما فيهِ مِنْ صِغارِ ٱلفِراخِ بِقَضيبٍ طَويلٍ ، فَإِذا بِٱلْهُدْهُدِ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْعُشِّ وَيَقولُ لَهُ :

— لا تَهْدُمْ بَيْتي ، وَلا تُؤْذِ صِغاري ، فَأُكافِئَكَ عَلى مَعْروفِكَ بِأَنْ أَدُلَّكَ عَلى كُنوزِ جَبَلِ ٱلشَّمْسِ .

قالَ ٱلْحَطّابُ حَذِراً :

ــ أيّ كُنوزٍ تَعْني ؟

ــ تعالَ غداً إلى هُنا عِنْدَ ٱلْفَجْرِ ، وَٱحْمِلْ مَعَكَ كيساً صَغيراً وَعِنْدَئِذٍ أَذْهَبُ بِكَ إلى مَوْضِعِ ٱلْكَنْزِ ، وَتَراهُ بِعَيْنَيْكَ وَتَأْخُذُ مِنْهُ حاجَتَكَ .

في ٱلْغَدِ ٱلْباكِرِ ، عِنْدَ تَباشيرِ ٱلصَّباحِ ، حَمَلَ ٱلْحَطّابُ كيساً صَغيراً وَذَهَبَ بِرِفْقَةِ ٱلْهُدْهُدِ نَحْوَ جَبَلِ ٱلشَّمْسِ . وَلَمّا بَلَغا ٱلْقِمَّةَ وَنَظَرَ ٱلرَّجُلُ حَوْلَهُ لَمْ يُصَدِّقْ عَيْنَيْهِ . رَأى أَمامَهُ ، وَعِنْدَ قَدَمَيْهِ ، كَوْماتٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْأَلْماسِ وَٱللُّؤْلُؤِ وَجَميعِ أَنْواعِ ٱلْحِجارَةِ ٱلْكَريمَةِ . فَجَمَعَ مِنْها ما يَسَعُ كيسُهُ ، وَشَكَرَ لِلْهُدْهُدِ فَضْلَهُ وَعادَ مِنْ حَيْثُ أَتى .

اِنْتِقامُ ٱلشَّمْسِ

غادَرَ ٱلْحَطّابُ ٱلْمَغارَةَ ٱلَّتي يَسْكُنُها ، وَٱشْتَرى بِقِسْمٍ

مِنْ ثَرْوَتِهِ بَيْتاً جَميلاً جِدًّا قُربَ جَدْوَلِ مـاءٍ ، وَمَلأَهُ بِٱلرِّياشِ ٱلْفَخْمِ ، وَعاشَ فيهِ مُرْتاحَ ٱلْبالِ سَعيداً . وَٱمْتَلَكَ حَقلاً وَسيعاً خَصِباً فَزَرَعَهُ بِأَنْواعٍ شَتّى مِنَ ٱلْأَشْجارِ ٱلْمُثْمِرَةِ ، وَبَذَرَهُ بِٱلْحُبوبِ ، وَلا سِيَّما بِٱلْأَرُزِّ .

سَمِعَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ بِأَخْبارِ أَخيهِ ، وَعَرَفَ كَيْفَ أَصْبَحَ غَنِيًّا ، فَتَحَرَّقَ حَسَداً ، وَحَمَلَ عَصاهُ ، وَتَوَجَّهَ إِلى ٱلْغابَةِ في ٱلْجَبَـلِ . وَهُناكَ أَخَذَ يَضْرِبُ عُشَّ ٱلْهُدْهُدِ لِيُسْقِطَهُ أَرْضاً . فَأَطَلَّ ٱلطّائِرُ مِنْ عُشِّهِ وَرَجاهُ ٱلْكَفَّ عَنْ أَذِيَّتِهِ ، وَوَعَدَهُ بِأَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ غَداً إِلى جَبَلِ ٱلشَّمْسِ إِذا تَوَقَّفَ عَنْ هَدْمِ بَيْتِهِ ، وَٱلْإِضْرارِ بِفِراخِهِ ، وَقالَ لَهُ :

ــ إِنْتَبِهْ جَيِّداً إِلى ما أَقولُ لَكَ : لا تَحْمِلْ مَعَكَ إِلاَّ كيساً صَغيراً يَتَّسِعُ لِكَيْلٍ واحِدٍ مِنَ ٱلْأَرُزِّ .

فَكَّرَ ٱلْأَخُ ٱلْأَكْبَرُ في نَصيحَةِ ٱلطّائِرِ وَقالَ في نَفْسِهِ



إنَّ مِثْلَ هٰذا ٱلْكيسِ صَغيرٌ جِدًّا ، لِذٰلِكَ ما وَصَلَ إلى بَيْتِهِ حَتّى طَلَبَ مِنْ زَوْجَتِهِ أَنْ تَخيطَ لَهُ كيساً في غايَةِ ٱلِاتِّساعِ . وَعِنْدَ ٱلْفَجْرِ تَوَجَّهَ مَعَ ٱلْهُدْهُدِ إلى مَوْضِعِ ٱلْكَنْزِ . وَما أَبْصَرَ أَكْوامَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْأَلْماسِ وَٱللُّؤْلُؤِ وَٱلْحِجارَةِ ٱلْكَريمَةِ حَتّى فَقَدَ ٱتِّزانَهُ ، وَأَخَذَ يَضَعُ في كيسِهِ كُلَّ ما وَصَلَتْ إِلَيْهِ يَداهُ . غَيْرَ أَنَّ ٱلْكيسَ كانَ كَبيراً جِدًّا ، فَبَدَأَتْ تَباشيرُ ٱلصُّبْحِ تَلوحُ وَٱلرَّجُلُ ما يَزالُ مَشْغولَ ٱلْبالِ بِجَمْعِ أَكْبَرِ كَمِّيَّةٍ مُمْكِنَةٍ . فَقالَ لَهُ ٱلْهُدْهُدُ :

— لِنُسْرِعْ بِٱلذَّهابِ أَيُّها ٱلرَّجُلُ وَإِلَّا فَٱلشَّمْسُ سَتَظْهَرُ بَعْدَ قَليلٍ وَتُحْرِقُكَ !

لَمْ يُصْغِ إلى نَصيحَةِ ٱلطّائِرِ ، بَلْ ظَلَّ مُجِدًّا في جَمْعِ ٱلْحِجارَةِ ٱلْكَريمَةِ يَحْشو بِها كيسَهُ . وَأَلَحَّ عَلَيْهِ ٱلْهُدْهُدُ

بِٱلْهَرَبِ ، وَلٰكِنَّهُ ظَلَّ مُعانِداً يُكَدِّسُ ما يَقَعُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَمْلَأُ بِهِ كيسَهُ وَجُيوبَهُ ، إِلى أَنْ طَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ ، وَأَبْصَرَتْ بِهٰذا ٱلرَّجُلِ ٱلطَّمّاعِ يَسْرِقُ ثَرْواتِ جَبَلِها فَأَحْرَقَتْهُ وَحَوَّلَتْهُ إِلى قِطْعَةٍ مِنَ ٱلفَحْمِ .

يَقــولُ ٱلمُتَقَدِّمونَ في ٱلعُمْرِ إِنَّ ٱلشَّمْسَ لا تَظْلِمُ ٱلإِنْسانَ ٱلصّادِقَ ٱلقَنوعَ ، بَلْ تُدَفِّئُهُ وَتُعْطيــهِ جُزْءاً صَغيراً مِنْ ذَهَبِها . غَيْرَ أَنَّها تَثورُ وَتُحْرِقُ بِأَشِعَّتِهـا كُلَّ بَخيلٍ طَمّاعٍ يُريدُ ٱلِاحْتِفاظَ لِنَفْسِهِ وَحْدَهُ بِأَمْوالِ ٱلأَرْضِ .

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير

دار شهرزاد

• نقلت «شهرزاد» القراء الى عالم سحري مليء بالعجائب والغرائب وزارت معهم البلاد والأقطار .

• وهذا ما تحمله «دار شهرزاد» اليوم اليكم ايها الصغار الذين تحبون الجديد والطريف والجميل .

حكايات شهرزاد

١ ـ الدجاجة البيضاء
٢ ـ الامير بهلول
٣ ـ مغامرات بشوش
٤ ـ الغابة المسحورة
٥ ـ هبلان
٦ ـ هزيمة التنين
٧ ـ الارنب مامبو
٨ ـ مسرور ونبتة الحياة
٩ ـ جوقة الحمار
١٠ ـ اميرة النحل
١١ ـ المغامرون
١٢ ـ رهوان القنوع
١٣ ـ الهر الذكي
١٤ ـ بنانه
١٥ ـ الاخوة الماهرون

الاساطير

١ ـ شيخ الجبل
٢ ـ سلطان باتان
٣ ـ تماري والاوزات السبع
٤ ـ الفانوس السحري
٥ ـ بلاد السلام
٦ ـ تفاحة الذهب
٧ ـ خوانو الشجاع
٨ ـ ين سو
٩ ـ سر الغابة
١٠ ـ الهندي النحات

حكايات جدتي

١ ـ ليلى ذات القبعة الحمراء
٢ ـ العنزة وصغارها
٣ ـ الدببة الثلاثة
٤ ـ فتاة الغابة
٥ ـ القزم الفهيم
٦ ـ انتصار الحمار
٧ ـ المرآة السحرية
٨ ـ ام الرماد
٩ ـ الامير السعيد
١٠ ـ الدب الوفي
١١ ـ بيت الساحرة
١٢ ـ حكاية تمثال
١٣ ـ جلد الحمار
١٤ ـ كوكي ذو الضفيرة
١٥ ـ الزهرة المسحورة

تطلب من

دار العلم للملايين — مؤسسة نوفل


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net